كانون الثاني 2025 مجلة دراسات في الإنسانيات والعلوم التربوية العدد 8
January 2025 Journal of Studies in Humanities and Educational Sciences No. 8
Print ISSN 3006-3256 Online ISSN 3006-3264

غزوة تبوك آخر غزوات الرسول (صلى الله عليه وآله) - الأسباب والنتائج

م.د اكرم سعود حاجم
جامعة سومر/ كلية التربية الأساسية

الملخص

غَزْوَةُ تَبُوك أو غزوة العسرة هي الغزوة التي خرج لها الرسول (صلى الله عليه وآله) في شهر رجب في السنة التاسعة للهجرة بعد عودته من حصار الطائف، وتُعد هذه الغزة آخر الغزوات التي خاضها الرسول (صلى الله عليه وآله)، وكانت نتيجة لتحشد الروم لقتال المسلمين باعتبارهم قوة كبيرة تهدد كيان الدولة البيزنطية، فخرجت جيوش الروم بعددها وعدتها التي تفوق عدد المسلمين، فخرج لهم الرسول في فترة حرجة، من قلة المؤونة وصعوبات الطريق وشدة الحر، وفي ظرف كان المسلمون ينتظرون فيه قطف ثمار بساتينهم، والخلود الى الراحة، لكنهم استجابوا لنداء الرسول واثبتوا طاعتهم وثباتهم إلا قلة قليلة من أهل النفاق والتراخي، وقد انتهت هذه المعركة بلا صدام أو قتال لأن جيش الروم كان قد تشتت وتراجع أدراجه خوفًا من المواجهة؛ مما أحدث متغيرات على صعيد القوة العسكرية والهيمنة في المنطقة، وأدى الى تخلي حلفاء الروم عن انضوائهم تحت عباءة الروم، ومحالفة المسلمين كقوة أولى في المنطقة. لذلك، تم تحقيق الغرض من هذه الغزوة على الرغم من عدم وقوع المعركة مع الروم الذين انسحبوا شمالًا فحقق المسلمين انتصارًا دون إراقة قطرة دم، بعد ان أخلى جيش الروم مواقعهم للدولة الإسلامية، وخضوع النصرانية التي كانت تدين بالولاء لدولة الروم مثل إمارة دومة الجندل، وإمارة إيلة ، وكتب الرسول بينه وبينهم كتابًا يبين حقوقهم وواجباتهم تجاه الدولة الاسلامية، وقد فضح القرآن الذين تخلفوا عن تلك الغزوة بآيات كثيرة من سورة التوبة، والتي يرى المؤرخون ان غزوة تبوك هي أكثر الغزوات ذكرا في الآيات القرآنية الشريفة، نظرا لكثرة ما ذكر من التفاصيل التي رافقتها، وحال المسلمين وتباين مواقفهم منها.

الكلمات المفتاحية: غزوة تبوك ، حلفاء الروم ، سورة التوبة ، غزوة العسرة

The Battle of Tabuk was the last of the Prophet's (may God's prayers and peace be upon him and his family) raids.Causes and consequences

L. Dr. Akram Saud Hachim
Sumer University - Faculty of Basic Education

Summary

The Battle of Tabuk, or the Battle of Al-Asrah, is the battle that the Messenger (may God's prayers and peace be upon him and his family) embarked on in the month of Rajab in the ninth year of the Hijra after his return from the siege of Taif. This battle is considered the last of the battles that the Messenger (may God's prayers and peace be upon him and his family) fought, and it was the result of the Romans' mobilization to fight. The Muslims were considered a major force threatening the entity of the Byzantine state, so the Roman armies came out in numbers and equipment that exceeded the number of Muslims. So the Messenger went out to them during a critical period, due to the lack of supplies, the difficulties of the road, and the intense heat, and in a situation in which the Muslims were waiting to harvest the fruits of their orchards and go to rest, but they responded to the call of the Messenger and proved their obedience and steadfastness, except for a few. A few people of hypocrisy and laxity, This battle ended without a clash or a

fight because the Roman army had dispersed and retreated for fear of confrontation. Which caused changes in terms of military power and dominance in the region, and led to the Roman allies abandoning their inclusion under the Roman mantle, and allying themselves with the Muslims as the first power in the region. Therefore, the purpose of this invasion was achieved despite the fact that the battle did not take place with the Romans, who withdrew north, so the Muslims achieved a victory without shedding a drop of blood, after the Roman army vacated their positions for the Islamic state, and the submission of Christianity, which owed allegiance to the Roman state, such as the Emirate of Dumat al-Jandal, and the Emirate of Eila, and the Messenger wrote a book between him and them explaining their rights and duties towards the Islamic State. The Qur'an has exposed those who remained behind in that raid with many verses from Surat al-Tawbah. Historians believe that the Battle of Tabuk is the most frequently mentioned raid in the noble Qur'anic verses, due to the many details mentioned that accompanied it, the condition of the Muslims, and the differences in their positions on it.

Keywords: The Battle of Tabuk, the Roman allies, Surat Al-Tawbah, the Battle of Hardship

موقع تبوك

تبوك قرية تقع بين وادى القرى والشام، وهي مكتظة بالسكان ، وبها عين ماء ونخل، وكان لها حصن خرب، وتقع شمال غرب بلاد نجد والحجاز، على بعد مسيرة أربعة عشر يوما من دمشق، وقيل هي الأيكة المذكورة في القرآن [1]، وتعني الأيكة الغيضة الملتفّة الأشجار، وقيل إن المراد بأصحاب الأيكة أهل مدين، ومدين وتبوك متجاورتان، وهو الأرجح، وكان عدد جيوش المسلمين ثلاثة آلاف إزاء مائة ألف وقيل مئتا ألف من الروم، وهي أبعد أثر وصل إليه رسول الله (صلى الله عليه وآله) وانه حينما جاءها كانوا يبوكون [2] حسيها بقدح أي يَستخْرِجون الماءَ بنصالهم فقال: ((ما زلتم تبوكونها بعد؟)) فسميت تبوك [3]، وغزوة تبوك هي آخر غزواته صلى الله عليه وسلم[4].

سبب الغزوة

كانت هناك أسباب مهدت لهذه الغزوة قبلها بعام وهي قتل سفير الرسول (صلى الله عليه وآله) الحارث بن عمير الأزدي، على يد شرحبيل بن عمرو الغساني، وكان قد بعثه برسالة الى عظيم بصرى [5]، بعدها أرسل الرسول (صلى الله عليه وآله) سرية بقيادة زيد بن حارثة، حدثت على إثرها معركة مؤتة، بين المسلمين

[1]((ينظر:[سورة الحجر: 78] ؛ [سورة الشعراء: 176] ؛ [سورة ص: 13]؛ [سورة ق: 14]
[2]((أي يدخلون فيها السهم ويحركونه ليخرج ماؤه، ينظر: البكري، معجم ما استعجم من اسماء البلاد والمواضع (1/ 12)
[3]((ينظر: البكري، معجم ما استعجم من اسماء البلاد والمواضع (1/ 12)
[4]((ينظر: الحموي، معجم البلدان (1/ 291) ؛ اللاهوري، حياة محمد ورسالته (ص: 224)
[5]((ينظر: الذهبي، تاريخ الإسلام ت تدمري (2/ 479)

والرومان والتي استشهد فيها زيد بن حارثة وجعفر بن أبي طالب، وعبدالله بن رواحة، وهي معركة مشهورة [6].

أما السبب المباشر الذي تذكره المصادر من خلال الروايات لغزوة تبوك، فهو ما تناهى الى اسماع المسلمين ان قيصر الروم بدأ يجهز لمعركة حاسمة ضد المسلمين، وأنه حشد جيشه مع من تحالف معه من العرب ، حتى ان المسلمين كانوا على وجل من غزو الروم لهم في اي وقت، وقد وردت أخبار تحشد الروم لغزو المسلمين عن طريق الأنباط الذين كانوا يأتون للمدينة بكثرة لبيع الدقيق، فذكروا ان الروم قد تجمعت بأعداد كبيرة في الشام وان قيصر قد أعطى لأصحابه رزق سنة، وكانت معه قبائل لخم وجذام وغسان وعاملة، وانهم عسكروا بالبلقاء، وان هرقل تخلف عنهم في حمص[7].

على الرغم من ذكر الكثير من المصادر لهذا السبب إلا أنه لا يمكن الركون إليه، إذ ان تحشيد الرسول (صلى الله عليه وآله) لهذا العدد الكبير من المسلمين، والحث الكبير لهم على الخروج، لا يمكن ان يكون معتمدا فيه على قول بعض التجار، الذين يحتمل فيهم الصدق والكذب، دون التحقق من قولهم، محملا المسلمين كل المشاق التي تترتب على هذه الغزوة، مع ما عرف عن الرسول (صلى الله عليه وآله) من الحكمة، ورجاحة الرأي، ونحن هنا أمام احتمالين، احدهما ان يكون الرسول (صلى الله عليه وآله) قد بعث عيونا للتحقق من الأمر، وتحرك على أساس ذلك، والثاني أنه أراد ان يستعرض قوة المسلمين وطاعتهم للرسول (صلى الله عليه وآله) في أصعب الظروف لوجود ضرورة مُلحة رأها (صلى الله عليه وآله)، وهي على هذا النحو تحقق أهدافا عدة منها، انها تكون رادعا لكل من تسول له نفسه الاعتداء على المسلمين، كما انها ستكون اختبارا حقيقيا للمؤمنين، وكشف زيف ضعيفي الإيمان، ولذلك أخبرهم عن وجهتهم صراحة، كما انها وسيلة لجذب القبائل العربية التي لم تنضو بعد تحت لواء الإسلام، بسبب ما يرونه من الهيبة والقوة التي يملكها المسلمون، والشجاعة التي لم تخش أكبر قوة عسكرية آنذاك وهم الرومان، وهو أمر راجح جدا وشبيه بما تقوم به الدول حالياً من المناورات العسكرية، لاختبار قوتها أولا، ولإرهاب أعدائها ثانيا، ولجذب حلفاء ثالثا.

التهيؤ للغزوة

أمر سول الله (صلى الله عليه وآله) الناس بالتهيؤ للمعركة مع الروم، وبعث الى القبائل يستحثهم على الخروج لقتال الروم، حدث ذلك والمسلمون في زمان عسرة، وفي وقت طابت فيه الثمار، والناس في هكذا وقت كانوا يحبون البقاء في ثمارهم وظلالهم، ويكرهون الشخوص، وكان (صلى الله عليه وآله) لا يهم بغزوة الا وكنى بغيرها حفاظا على سرية غزواته، الا في غزوة تبوك فإنه أخبر عنها صراحة، وذلك لبعد المسافة والمشاق التي ستلاقيهم في هذا المسير، وكثرة العدو، لكي يتهيؤوا له بالشكل المناسب، وأمر الناس بالصدقة [8]، فكان المسلمون يتسابقون لتمويل هذا الجيش بكل ما قدروا عليه من مال أو طعام او ركوبة، حتى أنه كان الرجل يأتي ببعير لرجلين ليتعاقبان عليه في المسير، وبعظهم يأتي بنفقته، والنساء تأتي بالثوب والخلخال والمعضد، والقرط والخاتم ابتغاص مرضاة الله، وكان ذلك في رجب في السنة التاسعة للهجرة [9].

لقد كشفت هذه المرحلة عن مدى ايمان المسلمين بالرسول (صلى الله عليه وآله) ومسؤوليتهم في حفظ الإسلام والدفاع عنه، فتباينت المواقف، والتي تمثلت بما يلي:

---

[6](ينظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 3/ 36-40؛ المقدسي، البدء والتاريخ (4/ 231)؛ ابن كثير، البداية والنهاية ط الفكر (4/ 245).

[7](ينظر: الواقدي، المغازي، (3/ 989-990).

[8](ينظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، (3/ 101)

[9](ينظر: ابن هشام، السيرة النبوية، (2/ 516)

(أ)ـ المنافقون:

اتخذ موقف المنافقون من غزوة تبوك أشكالاً عدة:

1ـ الاعتذار عن الخروج: منهم من اعتذر الى الرسول (صلى الله عليه وآله) عن الخروج الى الغزوة كالجد بن قيس الذي قال للنبي (صلى الله عليه وآله) ((أو تأذن لي ولا تفتنى؟ فو الله، لقد عرف قومي ما أحد أشد عجبا بالنساء مني، وإني لأخشى إن رأيت نساء بني الأصفر لا أصبر عنهن. فأعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: قد أذنت لك))[10]، وجاء اليه ابنه عبدالله بن الجد يعاتبه على عدم الخروج، على الرغم من كونه أغنى بني سلمة، فقال له الجد : يا بنى، ما لى وللخروج في الريح والحر والعسرة إلى بني الأصفر؟ والله، ما آمن خوفا من بني الأصفر وإني في منزلي بخربى، فأذهب إليهم فأغزوهم، إني والله يا بني عالم بالدوائر)) ، فأغلظ له ابنه فضربه الجد، فانصرف [11]، وقد نزل فيه قوله تعالى: {وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي وَلَا تَفْتِنِّي أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ} [12] ، واستأذن معه منهم من غير علة بضعة ثمانين رجل وأذن لهم، وقد فضح الله المنافقين في سورة التوبة، حتى سميت بالفاضحة [13] .

2ـ السخرية من المسلمين: كانت هذه الفئة تقلل من عمل المسلمين وتسخر من تبرعات فقرائهم، بأن الله غني عن صدقاتهم لقلتها، كذا يشككون في نوايا صدقات الأغنياء منهم ويصفونها بأنها كانت رياءً، وقد أنزل الله تعالى فيهم: {الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} [14].

3ـ التستر بالصدقات: وهم الذين تصدقوا ولم يتقبلها الله منهم، قال تعالى: {قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَنْ يُتَقَبَّلَ مِنْكُمْ إِنَّكُمْ كُنْتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ} [15]، لأن صدقاتهم لم تكن لوجه الله تعالى، وفضحهم لنفاقهم، وكفرهم بالله ورسوله، ويتكاسلون عن الصلاة وينفقون وهم كارهون، قال تعالى: {وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلَا يُنْفِقُ الذين كان ونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ} [16].

4ـ المثبطون للهمم: لما سار رسول الله (صلى الله عليه وآله) تخلف عنه عبد الله بن أبي فيمن تخلف من المنافقين، وقال: ((يغزو محمد بني الأصفر، مع جهد الحال والحر والبلد البعيد، إلى ما لا قبل له به! يحسب محمد أن قتال بني الأصفر اللعب)) ؟ ونافق معه من هم على مثل رأيه، ثم قال ابن أبي: ((والله لكأني أنظر إلى أصحابه غدا مقرنين في الحبال!)) تشكيكا وتقليلا من شأن رسول الله (صلى الله عليه وآله) [17] .

---

[10]((ينظر: الواقدي، المغازي (3/ 992) ؛ ابن الأثير الجزري، الكامل في التاريخ (2/ 146)؛ الذهبي، تاريخ الإسلام (2/ 627)؛ ابن كثير، البداية والنهاية ط الفكر (5/ 3).

[11]((ينظر: الواقدي، المغازي (3/ 992- 993)

[12](([سورة التوبة: 49]

[13]() ينظر: ابن أبي شيبة، المصنف (6/ 152)؛ سعيد بن منصور، التفسير من سنن سعيد بن منصور - محققا (5/ 232)؛ بحرق، حدائق الأنوار ومطالع الأسرار في سيرة النبي المختار (ص: 77)

[14](([سورة التوبة: 79]

[15](([سورة التوبة: 53]

[16](([سورة التوبة: 54]

[17]() الواقدي، المغازي (3/ 995 - 996)

وكانوا ينهون الناس عن الخروج مع رسول الله (صلى الله عليه وآله)، متعللين بحرارة الجو، وقوة العدو، وبعد المسافة، لاضعاف جيش المسلمين، وكان منهم الجد بن قيس، وقد ذكرهم الله تعالى بقوله: {... وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ} [18] .

لقد كان موقف المنافقين قبل الغزوة كما تبين لنا، وستتضح مواقفهم اللاحقة من خلال محاور البحث القادمة.

(ب)ـ المؤمنون

اتخذ المؤمنون في هذا الاختبار عدة أشكال:

1ـ الميسورون: وهم الذين أنفقوا بسخاء لتمويل هذه الغزوة، إضافة الى خروجهم فيها، وكان دورهم كبير في رفد المسلمين بما يحتاجون إليه من متطلبات الخروج لملاقاة العدو، لاسيما أن أغلبية المسلمين كانوا من الضعفاء، والفقراء، وقد ذكرت المصادر ان بعضهم تصدق بكل ماله وبعضهم نصفه، وقد أنفقوا بسخاء.

2ـ الفقراء: وبعضهم تصدق بما تمكن من يسير ما يملك، وبعضهم الآخر لم يجدوا ما يقدمونه من الصدقة لشدة فقرهم، وبعضهم الآخر جاء طالبا من الرسول (صلى الله عليه وآله) ان يحمله في هذه الغزوة، ولم يجد الرسول (صلى الله عليه وآله) ما يحمله عليه، فرجعوا باكين محزونين، فنزل فيهم قول الله تعالى: {لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ * وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ} [19]،

3ـ العجزة وذوي الأعذار: كان هناك فئةٌ من العجزة والضعفاء، ممن لم تستطع الخروج للجهاد؛ إما لكبر السن، أو مرض، فكانوا يبكون لقعودهم عن القتال، وقال الرسول (صلى الله عليه وآله) : (إنَّ بالمَدِينَةِ أقْوامًا، ما سِرْتُمْ مَسِيرًا، ولا قَطَعْتُمْ وادِيًا إلَّا كانُوا معكُمْ، قالوا: يا رَسولَ اللَّهِ، وهُمْ بالمَدِينَةِ؟ قالَ: وهُمْ بالمَدِينَةِ، حَبَسَهُمُ العُذْرُ)، وذلك لسلامة نيّتهم، وصدقهم، وقبول عذرهم>

4ـ المتباطئون عن الخروج: وهم الذين لم يستعدوا للخروج ولم يكن لهم عذر، كانوا يملكون العدة لذلك، وان سبب عدم خروجهم هو زمن الغزوة، التي كما أسلفنا انها كانت في وقت جني الثمار، واشتهاء الظلال، ففضلوا البقاء على الخروج للغزوة وكان وقت حر شديد، ومنهم كعب بن مالك، ومرارة بن الربيع العمري، وهلال بن أمية الواقفي [20]، ولم يكونوا من المنافقين، وعندما بدأ الرسول (صلى الله عليه وآله) والمسلمون بالتجهز للغزوة، كان كلما خرج كعب بن مالك للتجهز يعود ولم ينجز شيئاً حتى خرج المسلمون للغزوة وهو لم يعد عدة الخروج، فيحدث نفسه انه سوف يتجهز ويلحق بهم وظل كذلك حتى رجع الرسول (صلى الله عليه وآله) والمسلمون من الغزوة.

5ـ الذين التحقوا بالغزوة فيما بعد

من الذين أبطؤوا ثم التحقوا بالغزوة أبو ذر الغفاري، وكان سبب ذلك ان بعيره كان ضعيفا، فقام على علفه أياما ليشتد ويقوى، ثم خرج عليه طالبا رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فعجز بعيره أثناء الطريق فتركه أبو ذر وحمل متاعه على ظهر وأكمل الطريق وحده، فأقبل على الرسول (صلى الله عليه وآله) ظهرا، وقد بلغ منه العطش ما بلغ، فسر رسول الله (صلى الله عليه وآله) بمقدمه، وقال((مرحبا بأبي ذر! يمشي وحده، ويموت وحده، ويبعث وحده!)) [21]، ومن الذين التحقوا برسول الله أبو خيثمة وهو عبد الله بن خيثمة السلمي،

---

[18](([سورة التوبة: 81]

[19](([سورة التوبة: 91، 92]

[20]((ينظر: سعيد بن منصور، التفسير من سنن سعيد بن منصور - محققا (5/ 291)؛ البخاري، صحيح البخاري (6/ 5)؛ مسلم، صحيح مسلم (4/ 2124).

[21]() الواقدي، المغازي (3/ 1000)

بعد ان تخلف عنه، وسار حتى لقي عمير بن وهب الجمحي بوادي القرى فصحبه حتى اذا اقتربا من رسول الله (صلى الله عليه وآله) في تبوك، قال أبو خيثمة لعمير: يا عمير! إن لي ذنوبا وأنت لا ذنب لك، فلا عليك أن تخلف عني حتى آتي رسول الله (صلى الله عليه وآله) قبلك. ففعل عمير، فلما أقبل سلم على الرسول (صلى الله عليه وآله)، فقال له خيرا ودعا له [22] .

6ـ الذين استخلفهم الرسول (صلى الله عليه وآله)

بعد ان تجمع الناس للغزوة انطلق جيش الرسول (صلى الله عليه وآله) من المدينة المنورة بعد ان استخلف عليها سباع ابن عرفطة الغفاري، وقيل محمد بن مسلمة [23] ، وخلف الامام علي (عليه السلام) على اهله، فقال المنافقون إنما ترك عليا استخفافا به واستثقالا منه ، فحمل علي (عليه السلام) سيفه ولحق بالرسول (صلى الله عليه وآله)، واخبره ما قال المنافقون، فقال (صلى الله عليه وآله) : (أمَا تَرضى أنْ تَكونَ مِنِّي بِمَنزِلةِ هارونَ مِن موسى، إلَّا أنَّهُ لا نَبيَّ بَعدي؟) [24]، فعاد الامام علي وهو راض مستبشر.

في الطريق الى تبوك:

1) ـ كرامات الرسول (صلى الله عليه وآله)

وسار الرسول (صلى الله عليه وآله) الى تبوك ومعه ثلاثون ألف مقاتل، وقد عانوا في الطريق من الجوع ، فقد تجهزوا وقت العسرة ولم يكن لديهم ما يكفيهم ، فجمع الرسول (صلى الله عليه وآله) ما لديهم من الطعام ودعا لهم فجعل الله فيه البركة، وقال (صلى الله عليه وآله) ((خُذوا في أَوعِيَتِكم، قال: فأَخَذوا في أَوعِيَتِهم، حتى ما تَرَكوا في العَسْكَرِ وِعاءً إلَّا مَلَؤوه، وأكَلوا حتى شَبِعوا وفضَلتْ منه فَضْلةٌ، فقال رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: أَشهَدُ أنْ لا إلهَ إلَّا اللهُ، وأنِّي رسولُ اللهِ، لا يَلْقى اللهَ بها عبدٌ غيرُ شاكٍّ، فتُحجَبُ عنه الجَنَّةُ)) [25] . واصابهم العطش الشديد فدعا لهم وأمطرت السماء حتى ملؤوا أوعيتهم. وحين وصل الى عين ماء في تبوك وكانت شحيحة الماء فجمع منها شيئاً وغسل وجهه ويديه واعاده فيها فجرت العين بماء منهمر [26] .

حينما وصل جيش المسلمين إلى تبوك، قال الرسول (صلى الله عليه وآله): ((سَتَهُبُّ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَةَ رِيحٌ شَدِيدَةٌ، فلا يَقُمْ فِيهَا أَحَدٌ مِنكُم فمَن كانَ له بَعِيرٌ فَلْيَشُدَّ عِقالَهُ فَهَبَّتْ رِيحٌ شَدِيدَةٌ، فَقَامَ رَجُلٌ فَحَمَلَتْهُ الرِّيحُ حتَّى أَلْقَتْهُ بجَبَلَيْ طَيِّئٍ)) [27] .

2) ـ المنافقون في الغزوة

كان هناك رهط من المنافقون يحاولون تثبيط همة جيش المسلمين وتخويفهم من الروم وأن المسلمين سينهزمون لا محالة، فقال أحدهم وهو ثعلبة بن حاطب: ((تحسبون قتال بني الأصفر كقتال غيرهم؟ والله لكأنا بكم غدا مقرنين في الحبال!)) ، وقال آخر وهو وديعة بن ثابت: ((ما لي أرى قرّاءنا هؤلاء أوعبنا بطونا، وأكذبنا ألسنة، وأجبننا عند اللقاء؟))[28]، وحذرهم الجلاس بن سويد أن ينزل فيهم قرآنا، فأرسل الرسول (صلى الله عليه وآله) عمار بن ياسر اليهم وقال له : ((أدرك القوم فإنهم قد احترقوا، فسلهم عما قالوا، فإن

---

[22] () الواقدي، المغازي (3/ 998- 999)
[23] () ينظر: الواقدي، المغازي (3/ 995)
[24] () ينظر: معمر بن راشد، جامع معمر بن راشد (11/ 226)؛ أبو داود، مسند أبي داود (1/ 170)
[25] () ينظر: احمد بن حنبل، مسند أحمد ط الرسالة (17/ 140)؛ الصلابي، السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث (ص: 827).
[26] () ينظر: احمد بن حنبل، مسند أحمد ط الرسالة (17/ 140).
[27] () ينظر: ابن ابي شيبة، مصنف ابن أبي شيبة (7/ 422)، مسلم، صحيح مسلم (4/ 1785).
[28] ((ينظر: الواقدي، المغازي (3/ 1003)

أنكروا فقل: بلى، قد قلتم كذا وكذا!))[29]، فواجههم عمار بذلك فأنكروا، فأخبرهم بما جرى بينهم، ثم جاء وديعة بن ثابت يعتذر الى الرسول (صلى الله عليه وآله) وهو لا يلتفت اليه، فأنزل الله عز وجل فيه: {وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ * لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنْ نَعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ} [30]

وقد شكك المنافقون في نبوة الرسول (صلى الله عليه وآله) عندما ضاعت ناقة الرسول (صلى الله عليه وآله) لو كان رسول الله حقا لعلم أين ناقته، اتصدقون بأنه يوحى اليه من السماء وهو لا يدري اين ناقته، فقال الرسول (صلى الله عليه وآله) : ((... واللهِ لا أعلَمُ إلا ما علَّمني اللهُ، وقد دَلَّني اللهُ عليها، وهي في الوادي في شِعْبِ كذا وكذا، وقد حبَستْها شجرةٌ بزمامِها، فانطلِقوا حتى تأتوني بها، فذهَبوا فأتَوْهُ بها)) [31] .

جـ)ـ الوضوء والصلاة في الطريق:

فكان رسول الله (صلى الله عليه وآله) في وضوئه يغسل وجهه ويديه ويمسح على رأسه وخفيه[32]، ولم يكن وضوؤه هذا في طريق تبوك خاصة، بل ورد في مواطن أخرى كثيرة حتى وهو في الحل ويجمع في صلاته بين الظهر والعصر، وبين والمغرب والعشاء، حتى رجع من تبوك [33] ، ولم يكن هذا لاضطرار، على الرغم من حرارة الجو العالية الا انها حالة لا ترتقي الى كونها تشكل خطرا على حياته وحياة من معه، فمثل هذا الجو الحار كان معتادا في هذا الوقت من العام، كما أنه (صلى الله عليه وآله) منذ قدومه الى تبوك يصلي قصراً [34]- يصلي الصلوات الرباعية ركعتين- وهي صلاة المسافر.

على الرغم من بقاء الرسول (صلى الله عليه وآله) بضعة عشرة ليلة الا انه لم يلتق بأي من جنود الروم، إذ آثروا البقاء في الشام حيث ألقى الله تعالى في قلوبهم الرعب، وآثروا السلامة، بل ان حلفائهم من القبائل التي تنصرت كاتبت رسول الله (صلى الله عليه وآله) على الصلح ودفع الجزية.

وهكذا انتهت هذه الغزوة دون قتال وقد حقق المسلمون فيها انتصارا معنويا كبيرا، دون ان تسيل قطرة دم واحدة.

العودة من تبوك

لقد تعرض الرسول (صلى الله عليه وآله)، في طريق العودة من تبوك، إلى محاولة اغتيال بتدبير بضعة عشر رجلا من أصحابه [35]، أمرهم رسول الله ان يسلكوا بطن الوادي، ويسلك هو طريق العقبة، فتبعوه الى العقبة ملثمين، لينفّروا ناقته في عقبة من الطريق فيطرحوه أسفل الوادي، وكان مع الرسول (صلى الله عليه وآله) أبو حذيفة بن اليمان يقود الناقة وعمار بن ياسر يسوقها، فجاءوا من جهته((وهو يسوق برسول الله صلى الله عليه وسلم، وأقبل عمار يضرب وجوه الرواحل، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله) لحذيفة: " قد، قد " حتى هبط رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما هبط رسول الله (صلى الله عليه وآله) نزل ورجع عمار، فقال: يا عمار، هل عرفت القوم؟ " فقال: قد عرفت عامة الرواحل والقوم متلثمون قال: " هل تدري ما أرادوا؟ " قال:

---

[29]((الواقدي، المغازي (3/ 1004)

[30](([سورة التوبة: 65، 66]

[31]() الواقدي، المغازي (3/ 1010)؛ ابن هشام، السيرة النبوية ،(1/ 527)؛ السهيلي، الروض الأنف ت السلامي (4/ 217).

[32]() ينظر: مالك بن أنس، موطأ الإمام مالك، (1/ 39)؛ الشافعي، المسند (ص: 17)

[33]() مالك بن أنس، موطأ الإمام مالك، (1/ 143)

[34]() الواقدي، المغازي (3/ 999، 1015)

[35]((ينظر: البيهقي، السنن الكبرى (9/ 57)

الله ورسوله أعلم، قال: " أرادوا أن ينفروا برسول الله (صلى الله عليه وآله) فيطرحوه "[36] في الوادي ، فأنجاه الله تعالى منهم، كما أنه (صلى الله عليه وآله)، عندما عاد (صلى الله عليه وآله) الى المدينة لقي كعب بن مالك، فعاتبه الرسول (صلى الله عليه وآله) على عدم خروجه معهم في الغزوة: بقوله:((ما خلفك؟ ألم تكن قد ابتعت ظهرك؟))[37] ، قال: ((ما كنت قط أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت عنك، والله ما اجتمعت لي راحلتان قط حتى جمعتهما في هذه الغزوة))[38]، فأعرض عنه الرسول (صلى الله عليه وآله) وقاطعه والمسلمون حتى عفا الله عنهم، ونزل قوله تعالى: { وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ}[39].

وعلم (صلى الله عليه وآله) ان المنافقين قد بنوا مسجداً ضرارا في المدينة ليفرقوا بين المسلمين وقد نزل فيه قوله تعالى: {وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ * لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ } [40]فقام رسول الله (صلى الله عليه وآله) بهدمه، واحراقه [41] .

---

[36]((احمد بن حنبل، مسند أحمد ط الرسالة (39/ 210)؛ ينظر: مسلم، صحيح مسلم (4/ 2144)؛ الطبراني، المعجم الكبير، (3/ 165).

[37]((أبو داود، مسند أبي داود، (2/ 293)

[38]((ينظر: أبو داود، مسند أبي داود، (2/ 292)؛ البخاري، صحيح البخاري (6/ 5)؛ مسلم، صحيح مسلم (4/ 2123).

[39](([سورة التوبة: 118]

[40](([سورة التوبة: 107، 108]

[41]() ينظر: ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم (3/ 373)؛ ابن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر (2/ 469)؛ السمهودي، خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى (2/ 284)؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك (3/ 110)؛ المسعودي، التنبيه والإشراف (1/ 237).

- **اللاهوري، محمد علي (ت: 1951 م)**

23ـ حياة محمد ورسالته، ط 2 ، دار العلم للملايين ، بيروت، 1390 هـ .

- **مالك بن أنس، (المتوفى: 179هـ)**

24ـ موطأ الإمام مالك، المحقق: بشار عواد معروف، محمود خليل، مؤسسة الرسالة، 1412هـ.

- **المسعودي، على بن الحسين بن على (المتوفى: 346هـ)**

25ـ التنبيه والإشراف، تصحيح: عبد الله إسماعيل الصاوي، دار الصاوي، القاهرة، د.ت

- **مسلم، مسلم بن الحجاج النيسابوري (المتوفى: 261هـ)**

26ـ صحيح مسلم، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، د.ت

- **معمر بن راشد، معمر بن أبي عمرو راشد (المتوفى: 153هـ)**

27ـ جامع معمر بن راشد، المحقق: حبيب الرحمن الأعظمي، ط 2 ، المجلس العلمي بباكستان، وتوزيع المكتب الإسلامي ببيروت،1403 هـ

- **المقدسي، المطهر بن طاهر المقدسي (المتوفى: نحو 355هـ)**

28ـ البدء والتاريخ، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيدا ، د. ت

- **الواقدي، محمد بن عمر بن واقد (المتوفى: 207هـ)**

الخاتمة:

من خلال ما تقدم يمكننا الخروج بالكثير من النقاط منها :

1ـ تعتبر هذه الغزوة اختبار حقيقي لإيمان المسلمين وامتثالهم لأوامر الرسول (صلى الله عليه وآله) لاسيما مع صعوبة الظروف التي كانت تكتنف هذه الغزوة.

2ـ فضحت الغزوة جميع المنافقين، وضعيفي الإيمان، سواء من الذين تخلفوا عن الغزوة ام الذين خرجوا فيها طلبا للغنائم، او حياكة الدسائس والتفريق بين المسلمين، اذ كانت اختبارا حقيقيا، وقد كشف نواياهم القرآن الكريم في سورة التوبة، حتى ان المسلمين اطلقوا على هذه السورة اسم الفاضحة.

3ـ كان النصر في هذه الغزوة للمسلمين دون قتال، بعد انسحاب جيش الروم،

4ـ تعتبر هذه الغزوة بمثابة تدريب للمسلمين على تحمل الجوع والعطش ومشاق السفر لاسيما انها كانت لمسافة طويلة وظروف صعبة.

5ـ انها رفعت من مكانة المسلمين وابرزت قوتهم بين القوى المهيمنة آنذاك.

6ـ ساهمت برجوع بعض القبائل التي كانت متحالفة مع الروم، واعتناقها الإسلام ومصالحة بعضها الآخر للرسول (صلى الله عليه وآله) على الجزية.

7ـ أظهرت كرامات الرسول (صلى الله عليه وآله) ومنزلته عند الله نعالى.

8ـ كانت فرصة لتبيين بعض الاحكام الشرعية كالوضوء والجمع بين الظهرين والعشائين واحكام القصر في الصلاة.

9ـ كشفت عصابة من المسلمين كانت تكيد للرسول (صلى الله عليه وآله) وتدبر المكائد لقتله، لولا حماية الله وتدبيره له.

10ـ فضحت من كان يريد الضرر بالمسلمين وتفريق وحدتهم بعد خروج الرسول (صلى الله عليه وآله) من المدينة، كمن قاموا ببناء مسجد ضرار.

11ـ زادت المسلمين ثقة بأنفسهم ورعاية الله لهم فزادهم ذلك قوة وتكاتفا وجرأة على مقارعة أي قوة مهما كانت كبيرة.

هذه ابرز النتائج التي أسفر عنها البحث، والموضوع يحتاج الى مزيدا من البحث والتوسع، لما لهذه الغزوة من أهمية عظيمة في تاريخ الإسلام والمسلمين.

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على نبينا وحبيبنا محمد وآله الطاهرين.

المصادر والمراجع

1ـ القرآن الكريم.

- **ابن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم (ت: 235هـ)**

29ـ المغازي، تحقيق: مارسدن جونس، ط 3 ، دار الأعلمي، بيروت، 1989/1409م.

2ـ المصنف في الأحاديث والآثار، تحقيق: كمال يوسف الحوت، ط 1 ، مكتبة الرشد، الرياض، 1409م

- **ابن الأثير الجزري، علي بن أبي الكرم (ت : 630هـ)**

3ـ الكامل في التاريخ، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، ط 1 ، دار الكتاب العربي، بيروت ، 1417هـ / 1997م

- **ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج، (المتوفى: 597هـ)**

4ـ المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1412 هـ - 1992

- **ابن خلدون،عبد الرحمن بن محمد بن محمد، (المتوفى: 808هـ)**

5ـ ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تحقيق: خليل شحادة، ط 2 ، دار الفكر، بيروت، 1408 هـ - 1988 م

- **ابن كثير، إسماعيل بن عمر بن كثير (المتوفى: 774هـ)**

6ـ البداية والنهاية ، دار الفكر، 1407 هـ - 1986 م.

- **ابن هشام، عبد الملك بن هشام ، (المتوفى: 213هـ)**

7ـ السيرة النبوية، تحقيق: مصطفى السقا وآخرون، ط 2 ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، 1375هـ - 1955 م .

- **أبو داود، سليمان بن داود بن الجارود (المتوفى: 204هـ)**

8ـ مسند أبي داود، تحقيق: محمد بن عبد المحسن التركي، ط 1 ، دار هجر، مصر، 1419 هـ - 1999 م

- **احمد بن حنبل، أحمد بن محمد بن حنبل (المتوفى: 241هـ)**

9ـ مسند الإمام أحمد بن حنبل، المحقق: شعيب الأرنؤوط ، ط 1 ، عادل مرشد، وآخرون، مؤسسة الرسالة ، 1421 هـ - 2001 م .

- **الحميري ، محمد بن عمر بن مبارك (المتوفى: 930هـ)**

10ـ حدائق الأنوار ومطالع الأسرار في سيرة النبي المختار، تحقيق: محمد غسان نصوح عزقول، ط 1 ، دار المنهاج ، جدة، - 1419 هـ .

- **البخاري، محمد بن إسماعيل (المتوفى: 256هـ)**

11ـ صحيح البخاري، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، ط 1 ، دار طوق النجاة ، 1422هـ

- **البكري، عبد الله بن عبد العزيز (المتوفى: 487هـ)**

12ـ معجم ما استعجم من اسماء البلاد والمواضع ، ط 3 ، عالم الكتب، بيروت ، 1403 هـ

- **البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي ، (المتوفى: 458هـ)**

13ـ السنن الكبرى، المحقق: محمد عبد القادر عطا، ط 3 ،دار الكتب العلمية، بيروت، 1424 هـ - 2003 م .

- **الجوزجاني، سعيد بن منصور، (المتوفى: 227هـ)**

14ـ التفسير من سنن سعيد بن منصور، تحقيق: سعد بن عبد الله بن عبد العزيز، ط 1، دار الصميعي للنشر والتوزيع، 1417 هـ - 1997 م .

- **الحموي، ياقوت بن عبد الله ، (المتوفى: 626هـ)**

15ـ عجم البلدان، ط 2 ، دار صادر، بيروت ، 1995 م .

- **الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان ، (المتوفى: 748هـ)**

16ـ تاريخ الإسلام، المحقق: عمر عبد السلام التدمري، ط 2 ، دار الكتاب العربي، بيروت، 1413 هـ - 1993 م .

- **السمهودي، علي بن عبد الله بن أحمد (المتوفى: 911هـ)**

17ـ خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى، تحقيق: محمد الأمين محمد محمود أحمد الجكيني،

- **السهيلي، عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد (المتوفى: 581هـ)**

18ـالروض الأنف، المحقق: عمر عبد السلام السلامي، ط 1 ، دار إحياء التراث العربي، بيروت ، 1421هـ/ 2000م .

- **الشافعي، محمد بن إدريس بن العباس (المتوفى: 204هـ)**

19ـ المسند ، دار الكتب العلمية، بيروت ، 1400 هـ .

- **الصلابي، عَلي محمد محمد**

20ـ السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث ، ط 7 ، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1429 هـ - 2008 م

- **الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب (المتوفى: 360هـ)**

21ـ المعجم الكبير، المحقق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، ط 2 ، مكتبة ابن تيمية، القاهرة. (د.ت).

- **الطبري، محمد بن جرير (المتوفى: 310هـ)**

22ـ تاريخ الرسل والملوك، (صلة تاريخ الطبري لعريب بن سعد القرطبي، المتوفى: 369هـ)، ط 2 ، دار التراث، بيروت، 1387 ه .